# محمود درويش : ستملأ الوادي بالسنابل

ابتسام عبد الله

لم يرتجل الفارس من جواده. محمود درويش لما يزل شامخ القامة، شان الخالدين من امثاله، وعلماً مرفرفاً صامداً في الفضاء الثقافي العربي والعالمي.
ودع العرب والمحبون للشعر من كل مكان محمود درويش، الذي اشاد بعظمته الشعرية الحقيقية خصومه.
"وحبوب سنبله تجف
ستملأ الوادي بالسنابل"
كان محمود درويش، نجماً في برنامجين للحوار من اعدادي –تلفزيون بغداد. الاول سجل في النصف الثاني من السبعينيات بعد خروجه من الارض المحتلة والثاني في عام ١٩٨٦، عند حضوره الى بغداد منشداً قصائده في امسية خاصة اقيمت في مسرح الرشيد.
جمهور عريض وقف في تلك الامسية منتظراً شاعره قبل ساعات من البدء امتلأت القاعة وجنباتها والممرات المؤدية اليها.
وعندما حل الموعد ووقف الشاعر امام جمهوره صمت الجميع وعم المكان سكون يوحي بقدسية اشعار المقاومة والصوت الذي ينشدها مترنماً بالاحرف والكلمات والابيات، سكون يقطع ، كلما توقف الشاعر، بعاصفة من التصفيق والاعجاب وسيطر الشاعر الذي يقول عن نفسه "شاعر محاصر بالموت" على الجمهور، بالرسالة التي يحملها، وهو القائل ايضاً، "انه يحمل الامل، والفلسطينيون يعبرون بقدرة اكثر عن حياتهم".
كنت استمع اليه، وقلق وتوتر يسيطران علي، وانا افكر في كيفية الوصول اليه مع هذا الحشد الكبير الذي يملأ المكان وعندما انتهت الامسية، وبدأ الناس يتدافعون، بين من يريد الوصول الى خلف خشبة المسرح عله يلتقي به، وبين اخرين ينتظرون في القاعة الامامية، متوقعين خروجه. اما انا فتوجهت مباشرة الى حيث يقيم، (فندق الرشيد).
وهناك واجهت مشكلة اخرى، اذ كان الوصول اليه مستحيلاً، بعد طلبه من المسؤولين بعدم رغبته في استقبال احد ما.. أي احد ومع ذلك وجدت،كوجه معروف ، من يوصلني الى غرفته، حيث فتح لي الباب الشاعر عبد المطلب محمود، الذي كان احد مرافقيه.
كان الامر صعباً في اقناع محمود درويش، فهو بطبيعة الحال كان قد نسي حواري القديم معه، وهو ايضاً بسبب زيارته القصيرة لبغداد، "اقل من ثلاثة ايام" ، والسبب الثالث عدم ميله الطبيعي الى اجراء الحوارات سواء للصحف او للتلفزيون، ومع اعتذاره المتكرر، صمدت انا ايضاً، اواصل الالحاح عليه مع ادراكي مدى تعبه بعد امسية قصائد استنفذت طاقته وأتعبته. وقال لي متسائلاً كأنما يتخلص مني ، "هل قرأت لي؟ هل لديك معلومات عني.. هل وضعت الاسئلة"
وقام عبد المطلب محمود. عندئذ بالتحدث بدلاً عني وعن عملي، مذكراً اياه بالحوار السابق الذي اجريته، وانني قد ترجمت عدداً من الكتب ومنها، "يوميات المقاومة في اليونان" من تأليف الموسيقار العالمي، ميكيس ثيودوراكيس.
وعندما سمع محمود درويش بأسم الكتاب، اشرق وجهه فجأة وقام واقفاً، ماداً يده لمصافحتي مجدداً وهو يقول :" انت التي ترجمت الكتاب الى العربية . احقاً :هل تعرفين اننا في بيروت في اعوام السبعينيات، كنا لانحسب المثقف مثقفاً حقاً ان لم يكن قرأ ذلك الكتاب.انا احييك اذن ومستعد لاجراء الحوار معك، وفي اليوم التالي، وفي خلال الاستعداد للتسجيل ثم البدء فيه، تحمل الشاعر الكبير تلك الهنات التي يعرفها كل من يعمل في التلفزيون والمشاكل التي تحدث احياناً في التسجيل تحمل برغم احساسي (بعصبيته وتوتره ونظراته التي تنتقل الى الساعة بين حين واخر) ، وفي النهاية ، ابدى اعجابه بطريقة الحوار غير المتكلف، والتي تحمل من اجله ثلاث ساعات، من وقته القصير في بغداد.
رحل محمود درويش... ولم يرحل ايضاً فأشعاره عصافير تزقزق لنا وترفرف بأجنحتها من حولنا. وكلمات الرثاء لن تطول قامته الفارعة النحيلة، كأمير اسطوري وكما قرأت، انه حضر قبل وفاته بأسابيع احتفالاً اقيم في رام الله لمنح جائزة افضل تصميم لميدان يحمل اسمه، وقال في الاحتفال انه اعتبر ماسمعه افضل تأبين كان يود ان يكون له بعد وفاته وقد رآه بنفسه، وكأن الاحتفال ذلك : ميدان بأسمه وصدور طابع يحمل صورته، كان بمثابه النبوءة والوداع الاخير للشاعر الذي قرأ احدث قصائده:

كزهر اللوز او ابعد
وانت تجد فطورك، فكر بغيرك
(لاتنس قوت الحمام)
وانت تخوض حروبك، فكر بغيرك
(لاتنس من يطلبون السلام)
وانت تسدد فاتورة الماء فكر بغيرك
(لاتنس شعب الخيام)
وانت تنام وتحصي الكواكب، فكر بغيرك
(ثمة من لم يجد حيزاً للمنام)
وانت تحرر نفسك بالاستعارات ، فكر بغيرك
(من فقدوا حصتهم في الكلام)
وانت تفكر بالاخرين البعيدين، فكر بغيرك
(قل ليتني شمعة في الظلام)

# الفضول في طبعته الجديدة

جمال ناجي

كثيرا ما نجد أنفسنا مشدودين لمشاهدة مسلسل تلفزيوني لا يستحق دقيقة من وقتنا ، أو إتمام قصة لا تحمل أي قيمة ، أومتابعة وقائع برنامج مسابقات فجة متهتكة تستحق المثول امام هيئات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.
يحدث هذا كثيرا، ويحدث ايضا ان نضطر تحت وطأة الضغوط المؤسفة التي تمارس علينا من قبل وسائل الاعلام الثقافي، الى اقناع انفسنا باهمية هذا الفيلم او ذاك المعرض الفني او تلك القصيدة او الحكاية.
وعلى الرغم من اننا نصفن بعد الوقوع في فخاخ تلك الجاذبية الصناعية، ونحاول العثور على معاني ومسوغات تشفع لها ، وتبرر اهتمامنا بها، وهدرنا وقتنا من أجلها ، الا اننا لا نستطيع الظفر بسبب واحد يخفف حنقنا او يقلل من احساسنا بالاستغفال.
يحدث ايضا ان ننظر باحترام وربما باجلال الى الفنانين او الكتاب او الممثلين الذين انتجوا تلك الاعمال، برغم معرفتنا ويقيننا بتدني مستوياتها ومقوماتها الفنية، او على الاقل خلوها من اي محتوى يدعو الى التوقف.

**الأسباب كثيرة والمحفزات اكثر، فثمة آفة اسمها الفضول الذي يتحكم بنا ويلح علينا من اجل معرفة الفائز في برنامج تلفزيوني باهت ، او تعقب أحداث قصة ما ، او معرفة أسباب الضجيج المرافق لفلم او كتاب او معرض فني حظي بخدمات اعلامية من فئة خمسة نجوم.**

ولكن يحدث – في حالات نادرة –ان نمتلك جرأة التخفف من تلك الضغوط ونعود الى " حجارة الوادي " وصواب الفن والادب، بعد ان تتكشف لنا هشاشة الجاذبية، وجفاف عروقها ، وتقهقرها امام استحقاقات البقاء والاستمرار.
صحيح أن ساحة الإبداع تزخر بالكثير من الأعمال الممغنطة ذاتيا ، والتي تمتلك جاذبيتها الخاصة النابعة من أصالتها ومعاصرتها وعمقها، ولكن ما الذي يرغمنا على متابعة برامج واعمال لا تمتلك أهلية الإقامة في اي من خانات الذائقة او الذاكرة؟
الأسباب كثيرة والمحفزات اكثر، فثمة آفة اسمها الفضول الذي يتحكم بنا ويلح علينا من اجل معرفة الفائز في برنامج تلفزيوني باهت، او تعقب أحداث قصة ما، او معرفة أسباب الضجيج المرافق لفلم او كتاب او معرض فني حظي بخدمات اعلامية من فئة خمسة نجوم.
من يريد التحقق من جاذبية الفجاجة فليس أمامه سوى إمعان النظر في معالم الخارطة الفنية والابداعية على امتداد الوطن العربي، ثم الاطلاع على مفرداتها ومحتوياتها، واخيرا تحكيم ذائقته وذكائه وثقافته كي يتوصل، من دون جهد يذكر، الى ان الضحالة كائن حي لا يمتلك حقوقا مدنية وحسب، انما امتيازات خاصة تحول دون اقصائه او شطبه او الحيلولة دون بثه على الشاشات ، او نشره في الكتب والمجلات والصحف، وربما يأتي يوم تطالب فيه الاعمال الابداعية العظيمة بحقها في التنفس و الوجود ، وهو أمر يكاد يكود حتميا، اذا اخذنا في الاعتبار ان العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة ، وأن البقاء بات للأضعف لا للأقوى .
هذا ما يحدث الآن في حقول الموسيقى والغناء والتشكيل والتمثيل... وهو بالضبط ما تشهده الساحات الادبية الاخرى كالشعر والقصة والرواية والمسرح، وبالمناسبة فإن الحكمة القائلة " لا يصح إلا الصحيح" لم تعد قابلة للتداول منذ ابتداء الالفية الجديدة التي شهدت اختلال المعايير، وسيادة الركاكة وتغلغلها في مسامات الحياة.

# محمود درويش.. في حضرة الغياب

دنى غالي

كوبنهاكن

منتصرا ليحي تحية وداع عظيمة جليلة مفاجئة تلك الخسارة الحتمية التي أكثرَ من الاعتراف بها في لقاءاته الاخيرة. عاشها جربها

رسمنا ونحن أطفالا لوحات من وحي أحنّ الى خبز أمي
وقرأت له أشعارا صباح الخميس بصوت خجول مرتجف في باحة المدرسة
نغمات عود تنافس قداس موزارت الذي جسد رهبة الموت والفقد والقضاء واخيرا الخلاص، تنساب نغمات العود لاستحضار حزن رقيق شجي يليق بهذا الشاعر الشفاف. ولكنها لا تعين ابدا في نبش وصدام هذا الانفعال الذي أريد له ان يكون محسوبا فيعود موزارت ليتقدم مع جوقته هزمها!
ابتعد عن اللوز والليمون وأمه، وببطء اقتضت القراءة ان تكون بمرور الدواوين مركزّة ولأكثر من مرة بالنسبة لي. صار النص داخليا، خاصا عاما بذات الوقت. هو وصوره الشعرية واحد، هو ووقفته على المنبر واحد، وهو وصوت قراءته لاشعاره واحد، بل هو والمنفى واحد، كما جعل الام والارض والحبيبة واحد. بذهني ابتعدت النصوص عن تناوله المباشر أو غير المباشر لفلسطين واوجاعها وكأنه برع بتوزيعها دفعات، تفنن بدفنها هنا وهناك خوفا عليها، ولكن ماذا لو ان القضية صارت هو بتحولاته كنتيجة بديهية لمسيرة الحياة وتطوراتها. ذلك ما جعل نصه المميز اثيرا وهو يحمل فلسفته الخاصة ويدعو لمجادلتها، ذلك ما جعلني ارصد وليده القادم واتلهف له.
هم انساني جميل انيق يتحرك امامنا، ينتظم او يتناثر، يتبسط يتعقد
كان الجمال يتحرك فنطمئن الى ان حياتنا مازالت جميلة
خسائرنا لا تحصى وما لي وشعر المقاومة الان او قصيدة النثر. انها قامة حبلى بمنفى وارض وغربة وقلق وعشق ولون اخضر تفارقنا بقمة نضجها، بأبهى صورة

# فاضل السلطاني في ايام الرافدين في برلين

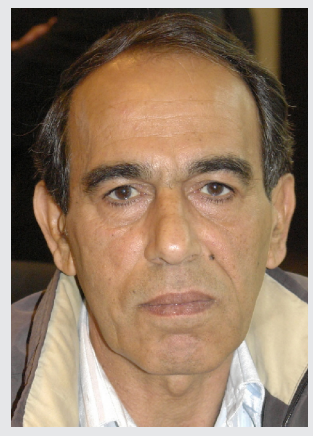

المدى الثقافي

شارك الشاعر فاضل السلطاني في مهرجان ايام الرافدين الثقافية الرابع الذي انتهى في الثالث من آب في برلين.
وتضمن المهرجان الذي اقيم على مدى خمسة ايام عدداً من الفعاليات الثقافية والفنية، ومنها محاضرة على الفن التشكيلي قدمها الفنان فيصل لعيبي اضافة الى فعاليات سينمائية ومسرحية.
وشارك السلطاني عدداً من الشعراء، وهم كريم كاصد، هاتف الجنابي عدنان الصائغ وداود امين في قراءات شعرية...
والسلطاني الذي يقيم في لندن احد اهم الشعراء في العراق قد اصدر عدداً من المجموعات الشعرية فضلاً عن ترجماته من الشعر الانكليزي.. وله حضور فاعل في المشهد الشعري العراقي.

في نادي الشعر

# الأنساق الكتابية ... الشعر العمودي أنموذجا

مهيمن الوراق

ضمن اصبوحاته الشعرية والنقدية ضيف نادي الشعر في الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق الناقد والباحث رشيد هارون في محاضرة بعنوان .
الأنساق الكتابية .. الرؤية والرؤيا الشعر العمودي أنموذجا ، قدم الجلسة الشاعر والإعلامي رعد كريم عزيز الذي استهل الاصبوحة مرحبا بالضيف والحضور مثنيا على جهود المحاضر في حركة النقد العراقي بعد ذلك قدم المحاضر مدخلا للبحث حيث أشارة إلى الأسماء الشعرية التي تناوله لافتاً النظر إلى منجزهم الشعري الإبداعي وكيف استطاعوا ان يهيمنوا على المنصة ليستحيلوا أوراقا ناجحة في المهرجانات والأنشطة الثقافية . من ثم استعرض الرؤيا الكتابية في الشعر العمودي عامة مع اخذ بعض الأمثلة من قصائد الشعر الذين تناولهم البحث.
أولا – رؤيا النسق فالشاعر الذي يكتب بنسق واحد فهو مأسور الرؤى والذات، ومأسور الثقافة وفهم الأخر.
ثانيا - رؤيا الوزن والموسيقى فالوزن نظام يحكمه الزمن الناتج من السبب الخفيف والثقيل والوتد المفروق والمجموع والفواصل الصغرى والكبرى ، والموسيقى نظام يحكمه الزمن أيضا الزمن الناتج من الكواتربيل كروش صعودا إلى ( الروند ) عادة أطول زمن موسيقي ، والشعر العمودي غالبا ما ينتج موسيقى خارجية تطرب لها الإذن والذائقة العربية .
ثالثا –رؤيا إذابة الوزن بفعل تلقائية الاستدعاء والحاجة النفسية اليه يمكن إذابة الوزن والإيقاع فهذه الحاجة وذاك الاستغراق يذيبان الوزن ويشذبان الإيقاع .
رابعا –رؤيا البيت تقطيع البيت إلى وحدات غير متساوية ولكنها في نهاية المطاف تشكل بيتا بتفعيلاته التي عرف بها .
خامسا–رؤيا الموضوع الشعر العمودي في مواجهة– مع المتلقي وفي حال من الإثارة والاستفزاز له وكل ذلك يتطلب موضوعا تبنى عليه القصيدة وعلى أساسه يتم استدعاء ما يمكن استدعاه من وسائل أخرى ملائمة للموضوع .
سادسا–رؤيا التواصل الشعر الذي يكتبه شعراء البحث يتطلب صيغ تيسر مهمة الشاعر في عملية الاستحواذ على إصغاء الجمهور ومنها صيغ النداء والخطاب والإسناد إلى ياء المتكلم واستعمال صيغ الأمر .
سابعا– رؤيا الذات الكتابة فعل شخصي بدافع شخصي وأعمق الكتابات هي التي تترشح عن هذا الفهم.
ثامنا – رؤيا التعامل مع المنصة ويأتي ذلك من خلال الاطمئنان إلى التجربة والتعامل مع المنصة هو أمر نفسي ، فلا غرابة أن تجد ثمة غربة بين النص وكاتبه أثناء الإلقاء على المنصة أو ثمة تمثل للمكتوب . بعد ذلك فتح باب المداخلات وكان الشاعر نصير فليح أولهم حيث قال : أن حداثة الشعر تتعارض مع الإلقاء المنبري وأهمية المنصة فالحداثة في الشعر تتضمن الاهتمام بالأبعاد الداخلية التأملية والدلالية وهذه تحتاج إلى تواصل مع فضاء القصيدة الداخلي وليس صوتها الخارجي للأسف لا يزال معظم المتلقين لدينا ذائقات تقليدية تعود إلى الإطراب على عمود الشعر وانتظار قافيته في نهاية كل بيت لترد عليه بتأوهات الإعجاب والحماسة في حين ان المطلوب الان هو ان يرتقي المتلقي إلى القدرة على التعامل التأملي مع النص ، والذي يتطلب القراءة البصرية غالبا . أن تحجر الذائقة العامة يصل أحيانا الى حد (التصنم ) وهو تحويل نماذج شعرية معينة في تاريخنا الأدبي الى أصنام لا تقبل المس ، وكأنه لم تكن لديهم قصائد سيئة أو غير مهمة .
بعده كان للناقد بشير حاجم رأي أشار من خلاله إلى أن البحث بدا كأنه ينحو منحي علميا في كثير من مفاصله لولا انه أحيانا كان ينزلق نحو الانطباعية و( الحكمية ). لكنه رغم هذه العلمية ، وقع في إشكالات مفاهيمية والية ... من الإشكالات المفاهيمية ان الباحث استخدم مفهوم ( النسق ) تجنيسيا ومن هنا قوله ( أنساق الكتابة ) وهو يعني نسق الكتابة العمودية او نسق الكتابة التفعيلة او نسق الكتابة النثرية .. والواقع ان مفهوم ( النسق ) بنائي او بنيوي وليس مفهوما تجنيسيا .. كذلك هناك خلط بين مفاهيم ( الوزن ) و (الموسيقى ) و ( الإيقاع ) والحال أن ( الإيقاع ) اشمل من (الموسيقى ) وهذه تشمل ( القافية والوزن ). أما الإشكالات الآلية اعتباره قصيدة النثر بصرية وقصيدة العمود منبرية وهذه ليست قاعدة إذ ثمة قصيدة نثر تكون أكثر منبرية من قصيدة العمود . والأغرب من ذلك أن الباحث يتحدث عن ( حداثة القصيدة العمودية ) ... فان كان للقصيدة العمودية حداثة فماذا عن ( قصيدة النثر )وهي أخر الحداثات الشعرية حتى الان ؟ حتى أن قصيدة التفعيلة لا تكاد تمتلك سوى ( برنامج تجديدي ) تدافع من خلاله عن نفسها أمام ( حداثة قصيدة النثر ) فما بالك بالقصيدة العمودية ؟
بعد ذلك أثنى الأستاذ فاضل ثامر على المحاضر وعلى الشاعر نصير فليح ومداخلته كما أثنى على الناقد بشير حاجم وعرضه . مطالبا بالمزيد من القراءات النقدية والبحثية التي تخص الموضوع . بعد ذلك تداخل الشاعر ياس السعيدي مدافعا عن قصيدة العمود . ليعقب بعده الناقد والمحاضر على المداخلات لتختم الجلسة التي أثارت بعض التساؤلات ...